

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

رَشْمَةُ عَنِ الْجَلْسَةِ الْمَاضِيَةِ

لقد صرَّحَ المحقِّق الآخوند بأنَّ سائر الصيغ الإنشائية كالتمني و الترجي و الاستفهام قد وضعت للترجي الإنشائي و الاستفهام الإنشائي و هكذا نظير الطلب الإنشائي فإنَّ العنصر المشترك في كافَّة الصيغ هو «الإيقاع الإنشائي» حيث إنَّ هذا المعنى قد زرع في موضوعها سويَّة، سواءً قد استعملها الله تعالى أو أنشأها البشر، إلا أنَّ المائز بينهما هو أنَّ الإنسان يترجى بحالة - و داعية - حقيقة فيستخدم الترجي الإنشائي واقعاً بحيث إنَّ الموضوع له - الإيقاع الإنشائي - قد التأمَّ مع داعي الإيقاع الإنشائي حقيقةً بينما هذه الصفات المنحطَّة قد استحالت في حقِّ الله سبحانه فإنَّه تعالى يستعمل الصيغ الإنشائية بدواعٍ آخر فيتمنَّى لإظهار المحبة أو يستفسر لداعي الإنكار و التقرير و التوبيخ و... فبالتالي لا يتمنَّى و لا يترجى و لا يستفسر حقيقةً كي تتولَّد الاستحالة الذاتية.

محاضرة المحقِّق الاصفهاني حول الصفات الدَّانية تجاهه سبحانه  
لقد شرح المحقِّق الاصفهاني - في البداية - مقالة أستاذه مُعترضاً قائلاً: [1]

«لا يخفى عليك (الإشكال على الكفاية):

1. أنَّ المحال في حقِّه - تعالى - ثبوتها و (تلبُّسُ بها) لا إظهار [2] ثبوتها (فإنَّ الله قد أظهر تلك الصفة خارجاً فحسب من دون أن يتلبَّس بها فبالتالي لا يتولَّد المستحيل).

2. و الأغراض المترتبة على إنشاءاتها (هي) بلحاظ كشفها عن ثبوتها (في النفس بحيث يُنشئ الصيغ كي يكشف عن أنَّ الصفة ثابتة في المتكلِّم) لا بلحاظ نفس وجوداتها الإنشائية (فلم يخلق صيغاً إنشائية محضة بل لكي يكشف عن ثبوتها) فإنَّ إيجاد المفهوم بوجوده الجعلي العرضي اللفظي (و هو الوجود التَّنْزيلي) - مع قطع النظر عن كشفه عما (في الضمير و) هو استفهام، أو تمنٍّ أو ترجٍّ بالحمل الشائع - لا يترتب عليه إظهار المحبة و غيرها من الأغراض. (فمع مجرد الطلب أو التمني الإنشائيين و غيرهما في مقام التَّلَفُّظ لا يتحقَّق غرض المتكلِّم كما زعمه الكفاية بل إنَّ استخدام الصيغ سيكشف حتماً عن ثبوتها في نفس المتكلِّم بالحمل الشائع كي يتحقَّق الإنشاء الحقيقي، لا محض الإنشاء اللفظي).

ثمَّ تجاهر عن رأيه النهائي قائلاً:

فالإنصاف أنَّ كَيْفِيَّة الاستعمال و الدلالة (و الموضوع له) على الجدِّ في ما وقع في كلامه - تعالى - (هي) على حدِّ ما في كلام غيره (فلا يختلف استعمال الله تعالى عن البشر من ناحية المستعمل فيه إذ المعنى الحقيقي محتفَظ في كلا استعمالين إلا أنَّ القصد مُتفاوت فيهما) إلا أنَّه فيه - تعالى - لإظهار المحبة مثلاً، فهو يُظهر المحبة و الاستيناس بإظهاره الاستفهام الحقيقي بقوله تعالى: وَ مَا تِلْكَ بِبِمِيزَانِكَ يَا مُوسَى [3]، كما أنَّه - تعالى - يُشجِّعه - عليه السلام - على دعوة فرعونَ بإظهاره الترجي الحقيقي (فالاستعمال حقيقي بخلاف الكفاية) بقوله تعالى: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. [4] فافهم.

فبالتالي، إنَّ الله تعالى قد استَخدم الاستفهامَ الحقيقيَّ وفقاً لمعناه الذي وُضع له تماماً فلم يتغيَّر المعنى الحقيقيّ تجاه الله تعالى إلا أنَّ مُستهدِّفه -الجدي- تعالى قد تعلَّق بإظهار المحبَّة في مورد التَّمني وإظهار الاستيناس في مورد الاستفهام وهكذا فإنَّ الله تعالى يَستخدم عمليَّة إظهار الصفات من دون أن يتلبَّس بها إطلاقاً، و اتَّضح أنَّ هذا الإظهار قد نَبَعَ عن غرض جديٍّ كالمحبَّة و... - لا التَّمني الجديّ- بينما البشر يَستخدم الصَّيغ على حقيقتِها و بقصد التَّمني الحقيقيّ -جديّاً- أيضاً.

### زَحْرَةُ تَجاه مَقالة المَحَقِّقِ الاصْفهانيِّ

و نُلَاحِظ عليه:

1. أولاً: إنَّه قد فسَّر الإظهارَ تفسيراً مُستجداً زاعماً أنَّ الإظهار لا يَتوقَّف على ثبوت الصَّفة في النفس -أي ظهور اللفظ في معناه الحقيقيّ لا بقصد الثبوت بل بقصد آخر- بينما الإظهار المُصطلح يَرْتَهِن على الثَّبوت -أي إظهار ما في الضمير- فحينما يَستخدم صيغة التَّمني فقد أظهر و كشف أُمْنِيَّتَه الباطنيَّة حتماً، فكيف يقول المَحَقِّقُ الاصْفهانيُّ بأنَّ المتكلِّم قد أظهر الاستفهام و... من دون أن تثبت الصَّفة بداخله فإنَّه لولا ثبات المنبع و الصَّفة الدَّاخلِيَّة لما تحقَّق الإظهار و الكشف إطلاقاً فإنَّها منشأ الإظهار.

2. وثانياً: يبدو أنَّه قد ارتكب المجازيَّة إذ قد دَمَجَ معنى التَّمني في كلا استعمالين -تمنِّي الله تعالى و البشر- ثمَّ بَدَّلَ الأغراض الجديَّة، و هذه الصَّنِيعَةُ تَسْتَدْعِي المجازيَّة.

3. و ثالثاً: إنَّ مَثالَ مَقالِهِ يَتَوَلَّى إلى مقال الكفاية تماماً فإنَّ تغيير القصد و الغرض يُساوي تَبَدُّلَ الدَّواعي -التي قالها الكفاية- في النَّتَاجِ.

### مَسْرَحَ نَظَرِنا في هذا المَضْمار

و أساساً إنَّنا قد هَدَمْنَا -مسبقاً- بُنيانَ التَّفكيرِ حول «الوجود الإنشائي» فقد شَرَحنا أنَّ اللفظ لا يُوجد شيئاً إطلاقاً -لا في التَّكوين و لا في الاعتبار- و بالطَّبع لا يُعقل للفظ أنَّ يوجِدَ معنى إنشائياً -بشَتَّى الإنشائيات المذكورة- بل مُهمَّة الألفاظ هي أن تحكي عن كُموُن حقيقته الباطنيَّة في التَّمني أو الاستفهام أو التَّرجي أو الطَّلَب الحقيقيّ أو... فإنَّ هويَّة الإنشائيات هي الحكاية فحسب بحيث إنَّ الواضع قد وضع الألفاظ كعلامات و إشارات لهذه الحقائق المُحِبَّاة من دون تُستعمل الألفاظ في المفاهيم و المعاني و الموضوع له المُصطلح بل إنَّما موضوع الألفاظ هي الحكاية -ليس أكثر- و في هذا المُنطَلَق لا تَتَوَرَّط في المجاز و خلاف الظَّاهر و... فبالتَّالي إنَّ البشر الذي يَجْهَلُ الواقعَ سَيَحكي عن تَمَنِّيهِ الواقعيّ و عن تَرْجِيهِ المكنون حقيقَةً، بينما الله تعالى سَيَحكي عن إرادة المُحِبَّة و الاستيناس و الرِّحمة و... المَكْتومة لديه ببركة استخدام هذه الصَّيغ.

و لهذا قد اسْتَنكرنا مسبقاً الكبرى القائلة: بأنَّ الواضع قد وَضَعَ لكافَّة الألفاظ معانٍ و مفاهيمَ حقيقيَّة فإنَّ هويَّة اللفظ هي علاميَّة للحقائق الباطنيَّة أو الإرادات الدَّاخلِيَّة أو النِّسبة الواقعة فحسب

### مُتَجِّه المَفْسِّرِينَ تَجاه الآياتِ المذكورة

لقد عَثَرنا على تفسيرات بعض الأعلام [5] مُصرِّحاً بأنَّ التَّرجِيَّات -لعلّ- التي يَستخدمها الإنسان يَعود إلى جهل المتكلِّم بالتحديد حيث يَتَرَجَّى أن تُثمر المزرعة ثمارها، بينما تَرْجِيَّ الله سبحانه بلحاظ المتعلَّق و الفعل الخارجيّ من دون أن يَجْهَلُ النَّتيْجة -فلربما لم يَتَحَقَّقَ الفعل المَتَرَقَّب-.

و نلاحظ عليه بأنَّ التَّرجيَّ الإلهيَّ تَجاه المتعلَّق و الفعل مستحيل أيضاً [6] بل أحياناً يُستخدم لفظ «لعلّ»:

1. لأجل التَّعليل -لا للتَّرَقَّب- نظير قوله تعالى: «ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون» [7].

2. أو للغاية نظير قوله تعالى: «و اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[8].

و الحقّ الحقيق أنّ «لعلّ» يُستخدم للحكاية عن إرادته لتحقيق المحبّة – من دون تغيّر معنى اللفظ – لا أنه قد استُعمل بلحاظ الفعل الخارجي فإنه خلاف الظاهر.

-----

- [1] نهاية الدراية في شرح الكفاية. Vol. 1. ص309 بيروت – لبنان: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.
- [2] والغرض من إظهار ثبوت تلك الصفات، إيراد كلام له ظهور بحسب مقام المحاورّة في ثبوت هذه الصفات، وإن لم يقصد الحكاية عن ثبوتها (في نفسه) بل قصد بإيراده إظهار اللطف و المحبة؛ لئلا يلزم من قصد الحكاية عن ثبوتها الكذب. فتدبر (منه عفي عنه).
- [3] سورة طه ١٧:٢٠.
- [4] سورة طه ٤٤:٢٠.
- [5] قد صرّح الأستاذ المعظم أنّهما: آية الله العظمى الشيخ جوادى الآملّي و الشيخ جعفر السّبّحانيّ في ذيل هذه الآيات – التمني و الترجي و الاستفهام و....–
- [6] لأنه يستتبع الجهل بعاقبة الأفعال.
- [7] سورة البقرة الآية 52.
- [8] سورة آل عمران، الآية 200.